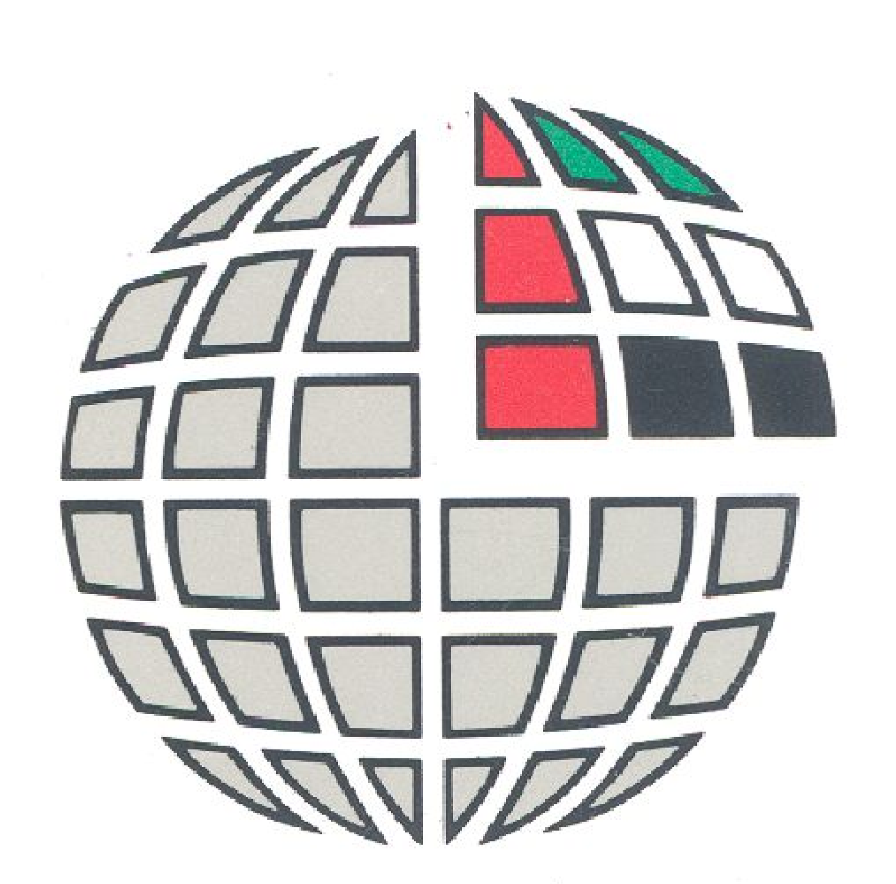
مسيرة السلام وطموحات إسرائيل في الخليج

د. محمد مصلح

سلسلة محاضرات الإمارات
7



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
The Emirates Center for Strategic Studies and Research

تأسس مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في 14 آذار/مارس 1994، كمؤسسة مستقلة تهتم بالبحوث والدراسات العلمية للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي على وجه التحديد، والعالم العربي والقضايا الدولية المعاصرة عموماً.

من هذا المنطلق يقوم المركز بإصدار «**سلسلة محاضرات الإمارات**» التي تتناول المحاضرات والندوات، وورش العمل المتخصصة التي عقدها المركز ضمن سلسلة الفعاليات العلمية التي ينظمها على مدار العام، والتي يدعو إليها كبار الباحثين والأكاديميين والخبراء بهدف الاستفادة من خبراتهم، والاطلاع على تحليلاتهم الموضوعية والمتضمنة معالجة ودراسة قضايا الساعة. فهذه السلسلة تهدف لتعميم الفائدة وإثراء الحوار البناء والبحث الجاد، والارتقاء بالقارئ والمهتم، أينما كان.



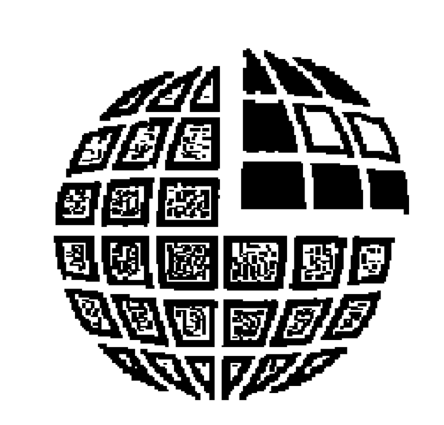
سلسلة محاضرات الإمارات

- 7 -

مسيرة السلام
وطموحات إسرائيل في الخليج

د. محمد مصلح

تصدر عن





محتوى المحاضرة لا يعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

أُلقيت هذه المحاضرة يوم الأحد الموافق 21 نيسان / أبريل 1996

الطبعة الأولى 1997

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

سلسلة محاضرات الإمارات - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص.ب: 4567، أبوظبي

دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 764666 - 9712 - فاكس: 773533 - 9712

E-mail: root@ecssr.edu

مقدمة

آمل أن أستطيع التحدث في هذين الموضوعين الهامين، أو أن أقدم تلخيصاً لهما، على أمل الوصول إلى نتائج مفيدة من الناحية الأكاديمية، ومفيدة أيضاً لصناع القرار السياسي. وقبل البدء في الحديث وإبداء ملاحظاتي، أود التنبيه إلى أن معظم ما سأقوله قائم على أحاديث، مع أناس ذوي مراكز مرموقة في الحكومات ذات الصلة بالموضوع.

الموضوع الأول: مسيرة السلام

● لبنان

من المهم أن أبدأ بلبنان، لأن حزب الله يشكل لإسرائيل قضية قديمة. وكثيراً ما كانت إسرائيل تربط ما بين سوريا وحزب الله، كما ترى أن حزب الله أداة في يد إيران. والمعروف أن الهدف الاستراتيجي من التصعيد الإسرائيلي في الجنوب اللبناني، يرتكز على اعتقاد حكومة إسرائيل - في عهد بيريز - بأن ما يفعله حزب الله في لبنان هو جزء من مخطط إيراني لإحباط عملية السلام، وهذا من شأنه أن يسهل فوز الليكود في الانتخابات الاسرائيلية*.

وللحقيقة فإن هذا اعتقاد راسخ في كل من إسرائيل والولايات المتحدة، لأن مجرد فوز الليكود في الانتخابات يعني أنه سوف يقلب

* أجريت الانتخابات بالفعل في 29 أيار/ مايو 1996، وفاز بها الليكود، وأصبح بنيامين نتنياهو رئيساً لوزراء إسرائيل، المحرر.

الآية، ويركّز على سوريا باعتبارها المشكلة الأساسية وليس إيران. باعتبار أن سوريا هي المسؤولة عن ضبط الأمن في لبنان، وهي طريق عبور الأسلحة إلى حزب الله من خلال المناطق الخاضعة للسيطرة السورية. وليس في نية الليكود أن ينسحب من الجولان أبداً، لأن المفهوم الليكودي يرى أن هدف «سوريا» هو إقامة علاقات وطيدة مع الولايات المتحدة، والسيطرة على لبنان، ثم استعادة الجولان؛ إذا سارت الأمور بالطريقة التي تريدها. ويعتقد الليكود أن بإمكانه إنجاز الهدف الأول لسوريا، وهو تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، من خلال السيطرة الإسرائيلية على مجلس الشيوخ (على الأقل 65 سيناتور)؛ وذلك مقابل ترتيبات أو تفاهمات أمنية. والليكود يعتقد في إمكانية حدوث ذلك مستقبلاً. وهذه هي النقطة الأولى بالنسبة لجنوب لبنان.

النقطة الثانية متعلقة بجو الانتخابات الإسرائيلية. وسوف أحاول أن أعكس لكم تفكير حكومة بيريز من الداخل، فهي تربط بين التصعيد في جنوب لبنان وبين عمليات منظمة «حماس» في داخل إسرائيل، التي جرت أواخر شباط / فبراير وآذار / مارس 1996. هذا التزامن وضع بيريز في موقف شديد الحرج؛ فإذا حدث تهديد أمني داخل إسرائيل، سيؤدي ذلك إلى تقليص فرص فوزه بالانتخابات، لا سيما أن استطلاعات الرأي العام في إسرائيل كانت تؤكد ذلك بوضوح؛ فقبل عمليات «حماس» كانت فرص بيريز في الفوز أعلى بكثير من نتنياهو

(بحوالي 10 ـ 12 نقطة تقريباً). والمعروف أن الوجود الإسرائيلي في جنوب لبنان يعطي حزب الله الفرصة ـ أو المبرر ـ للقيام بعملياته. في الوقت نفسه لم تكن صورة بيريز كصورة رابين، فقد كان رابين رجل الأمن، ويُحكم قبضته على المؤسسة العسكرية، وكان قوياً مع العسكر بدرجة مخيفة تجعل أي رئيس للأركان لا يستطيع النظر في وجهه. أما بيريز فليس بهذه الصورة، رغم أنه قاد هؤلاء العسكر كوزير للدفاع في منتصف الثمانينيات. وعندما شكّل بيريز حكومته عيّن «إيهود باراك» وُزيراً للخارجية، لكي يملأ الثغرة الموجودة في سجله العسكري. من الواضح إذن أن حملة التصعيد الإسرائيلي في جنوب لبنان لها ارتباط بعملية الانتخابات الإسرائيلية.

النقطة الثالثة والأخيرة، هي محاولة إسرائيل أن تجعل سوريا ضامناً لأي ترتيب يحدث، بخصوص عدم قيام حزب الله بعمليات عسكرية ضد المدنيين خارج الحزام الأمني في جنوب لبنان. وفكرة أن تضمن سوريا حزب الله ناتجة عن تفكير ساذج. ورغم اعتقاد الإسرائيليين بقوة تأثير إيران على حزب الله، فهم ـ في نفس الوقت ـ يعلمون أن الطرف الوحيد الذي يضمن الأمن في لبنان ليس هو إيران بل سوريا. ومنذ اتفاقية فصل القوات (بين سوريا وإسرائيل) في أيار/مايو 1974، التزمت سوريا بتنفيذ الاتفاقية بحذافيرها. وهذا ما يجعلهم يثقون بسوريا، وباحترامها لاتفاقاتها. وهكذا تحاول إسرائيل

أن تُدخل سوريا طرفاً في الموضوع، وهذا أمر صعب جداً على سوريا؛ فكيف تضمن أن حزب الله لا يقوم بعمليات مع وجود الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان ؟

إن سوريا تعتبر حزب الله ورقة ضغط على إسرائيل، في حالة فشل مفاوضات السلام. وهو في الوقت نفسه جسر مشترك في علاقة سوريا مع إيران. فسوريا مثلاً قد تعطي حزب الله 10 ٪ من الحرية ليقوم بعمليات عسكرية معينة - في وقت معين وداخل مساحة معينة - لكن الذي حدث أن الـ 10 ٪ صارت أحياناً 50 ٪ أو 60 ٪، حتى أصبحت الحكومة السورية غير راضية عما يرتكبه حزب الله في الجنوب؛ لأن ما يقوم به سيؤدي حتماً إلى التصعيد مع إسرائيل؛ وهذا التصعيد قد يورط سوريا في أشياء لا تستطيع أن تتحملها في لبنان. فميزان القوى يميل بصورة كاسحة لصالح إسرائيل. وإسرائيل - من جهتها - تريد تحجيم دور إيران، وإدخال سوريا في الموضوع في نفس الوقت.

- **المفاوضات بين سوريا وإسرائيل**

خمس سنوات مرت على اتفاقية مدريد حتى الآن، ولم يتم أي اختراق في مسار مفاوضات السلام السورية - الإسرائيلية. لماذا؟ من وجهة نظري أن السبب الرئيسي يتعلق بالإجراءات أو ما يسمى (Procedures). فالمشكلة الرئيسية بين سوريا وإسرائيل إجرائية،

وليست مشكلة تتعلق بالموضوع الرئيسي (Substance). إن إسرائيل تعرف بالضبط ماذا يجب أن تفعل لكي تصل إلى سلام مع سوريا، ألا وهو الانسحاب الكامل من الجولان. وأنا أعتقد أن حكومة رابين وبيريز كانت مستعدة لذلك.

هناك مشكلة الترتيبات الأمنية التي تطالب بها إسرائيل، وهي مبالغ فيها كثيراً، إذ طلبوا من سوريا تخفيض قواتها بشكل لا تستطيع أن تتحمله أية حكومة. وسوريا تدرك ـ من جهتها ـ أنها إذا أرادت الحصول على الجولان فلا بد أن تتوصل إلى اتفاق سلام مع إسرائيل أولاً. إذن فهناك تفاهم حول الأمور الجوهرية. والسؤال: ما الذي أعاق التوصل إلى اختراق؟ هنا يأتي المفهوم الإجرائي. إذ تريد إسرائيل من سوريا التصرف بطريقة معينة من حيث الإجراءات. ففي بداية الأمر جرت المفاوضات على مستوى دبلوماسي تفاوضي عال، وكان يقود الوفد السوري الدكتور موفق العلاف*. ثم جرى تنزيل مستوى الوفود إلى مستوى السفراء، بين سفير سوريا في الولايات المتحدة «وليد المعلم»، وسفير إسرائيل «إيتمار رابينوفيتش». ثم تقلص دور الأخير وأصبح الشخص المسؤول عن هذا الملف هو «يوري سافير».

وهناك اعتقاد إسرائيلي ـ وكذلك اعتقاد أمريكي ـ بأنه ليس من السهولة أبداً أن يتم أي نوع من الاتفاق حول أية نقطة أساسية، بل يتم

* توفي في القاهرة العام الماضي، المحرر.

فقط حول الترتيبات الأمنية، التي هي أسهل بكثير من التفاوض حول الموضوعات الجوهرية، مثل العودة إلى حدود الرابع من حزيران/ يونيو 1967، أوطبيعة السلام. واقترح الأمريكيون البدء بشيء محدد، يكون من الممكن التوصل إلى تفاهم حوله، وهو مسألة الترتيبات الأمنية. فإذا حدث اختراق في موضوع الترتيبات الأمنية فإن ذلك ييسر التوصل إلى تفاهم حول الأمور الجوهرية الأخرى. ثم أدرك الإسرائيليون صعوبة التوصل بسهولة إلى ترتيبات أمنية مع سوريا. ولكي يحدث الاختراق في موضوع الترتيبات الأمنية كان لا بد من رفع درجة التمثيل في التفاوض. وعلى سبيل المثال، كان لا بد من عقد اجتماع لرؤساء الأركان وعرض مطالب الطرفين، وكان التصور الأمريكي أنه إذا تم ذلك، فسوف يترتب عليه بالضرورة حدوث اختراق نفسي «Psychological Breakthrough»، ومثل هذا الاختراق النفسي يُتوقع أن يرسل إشارة إلى رابين خاصة، والإسرائيليين عامة، بأن سوريا جادة في مفاوضاتها. لقد ساير السوريون فعلاً هذا الاتجاه، وتم عقد ثلاثة اجتماعات على مستوى رؤساء الأركان. الأول لم يكن مجدياً على الإطلاق. أما الثاني والثالث، فقد كانت الأجواء فيهما جيدة. وفي اللقاء الثالث صار هناك نوع من التفاهم، ولكن حدثت بعض المشاكل في صيف عام 1995. وطلب الإسرائيليون أكثر من مرة عقد اجتماع قمة بين الدولتين. وهذا بالضبط ما أقصده بالإجراءات، أي أن يكون هناك تفاهم

ـ وليس اتفاقاً ـ حول ماذا يجب أن نفعل لنصل إلى اختراق؟ والسؤال: كيف نصل إلى هذا الاختراق؟ واضح أن المفهوم السوري يختلف عن المفهوم الإسرائيلي في هذا الأمر.

إنّ الاجتماع على مستوى القمة ـ بالنسبة للإسرائيليين ـ يؤدي إلى اختراق، إنْ لم يكن في المرة الأولى فسيكون في المرة الثانية أو الثالثة. المقياس بالنسبة لهم هو تجربة مصر، ثم تجربة عرفات، ثم تجربة الملك حسين. أما الحسابات السورية فهي شيء مختلف. فبالنسبة لسوريا لا يأتي الاجتماع بين بيريز والرئيس حافظ الأسد إلا كخطوة أخيرة. وهذا يعني ـ من وجهة نظر السوريين ـ ضرورة الاتفاق أولاً على الأمور الاستراتيجية. أما إذا حدث لقاء القمة ـ وهذا أمر فيه نظر ـ فإنه يكون لمجرد ربط الخيوط ببعضها بعضاً. ومن وجهة نظر السوريين أيضاً أن لقاء القمة ـ إذا تم دون التوصل إلى نتائج ـ فسيكون ذلك كارثة على سوريا. إذ لا يوجد بالطبع طرف أعلى من بيريز والأسد. ومن جهة أخرى سيشكل ذلك إحراجاً للرئيس الأسد، إذا اجتمع مع بيريز دون حدوث اختراق أو اتفاق. وهنا ستبدو صورة الرئيس الأسد كصورة السادات وعرفات والملك حسين، وهذا شيء يرفضه الرئيس الأسد منذ كامب ديفيد. وهو لا يريد أن يتم تصوير الأمر وكأنه يسير على طريق كامب ديفيد، الذي رفضه من قبل وحاربه. ثم إن المفاوضات السورية ـ الإسرائيلية لا تتم بين طرفين، بل بين ثلاثة أطراف: الولايات المتحدة وسوريا وإسرائيل.

من البديهي أن العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة وسوريا، لها تأثير كبير على مسار المفاوضات بين إسرائيل وسوريا. وأثناء مؤتمر صانعي السلام - وقبله أيضاً - وقعت عمليات حماس. ونقلت تقارير صحفية أمريكية أن الإدارة الأمريكية لن تشطب سوريا من لائحة الإرهاب، ولا من قائمة الدول التي لا تعمل بما فيه الكفاية لمكافحة المخدرات، أو ما شابه ذلك. وهنا ينظر السوريون إلى الأمر من زاوية مختلفة، إذ لا بد أولاً من تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة قبل المفاوضات. وقد حاولوا - على مدى خمس سنوات - أن يصلحوا الأمور مع واشنطن، ولكن لا يزال اسم سوريا مدرجاً في هذه القوائم. وهذا ما يجعل الحكومة السورية متشككة إزاء جدية الإدارة الأمريكية في عملية السلام؛ وهذه الشكوك المتبادلة بين الأطراف الثلاثة تجعلهم مترددين في دخول المفاوضات.

إنها مشكلة إجرائية، فإدارة كلنتون تعرف أن حكومة الرئيس الأسد أسهمت إسهاماً كبيراً في محاربة المخدرات والإرهاب. وليس هناك دليل على أن سوريا تقوم بعمليات إرهابية. ويظل السؤال قائماً: لماذا تظل سوريا على قائمة الإرهاب؟ القضية هنا قضية كونجرس ولوبي إسرائيلي في واشنطن. وإذا كان الليكود قد خسر في إسرائيل فإنه لم يخسر في واشنطن (قبل انتخابات أيار/مايو 1996). وما زال اللوبي الليكودي قوياً في واشنطن، لدرجة أن حكومة رابين كانت تعاني من

المشاكل مع الكونجرس بسبب هذا النفوذ الليكودي. وهذا بالطبع أمر غير مستبعد، فقد مكث الليكود في السلطة خمسة عشر عاماً، من 1977 حتى 1992. والكوادر الموجودة في الكونجرس والإدارة الأمريكية هي كوادر متعاطفة مع الليكود. وهذا أمر صعب تغييره ويحتاج إلى وقت طويل.

وليس لديّ أي شك في أن حكومة كلنتون - مثلها مثل حكومة بوش - لها مصلحة استراتيجية في إنجاز اختراق على المسار السوري - الإسرائيلي، لسبب واحد بسيط، هو أن سوريا مفتاح سلام إسرائيل مع باقي الدول العربية. لهذا نادراً ما يتحدث المسؤولون الأمريكيون عن السوريين عندما يأتي الحديث عن حزب الله. لأنهم ما زالوا يعتقدون بوجوب إشراك سوريا في العملية السلمية. لكن عملية صنع القرار في أمريكا، ليست في يد الرئيس، إلا إذا كان الرئيس مثل جورج بوش، فبوش كانت لديه القوة للضغط على الكونجرس، أما كلنتون فليس من هذا النوع؛ وإن كانت نواياه صادقة تجاه المسار السوري - الإسرائيلي، وهذه أيضاً قضية إجرائية.

ولا أعتقد أنه يمكن كسر الجمود على المسار السوري - الإسرائيلي، إلا بدخول الرئيس الأمريكي - بكل ثقله - لتضييق الهوة بين الطرفين. وبالتالي لا أعتقد أن كريستوفر (بعد الجولة التاسعة عشر) أو

دنيس روس (بعد زيارته المتكررة) يمكن أن ينجزا شيئاً. بل يجب أن يحدث تغيير في منهج التفاوض، وهذا يتطلب دخول كلنتون في هذا المسار. والمعروف أن كريستوفر سيترك وزارة الخارجية، سواء فاز كلنتون أم لم يفز. وتبقى الأمور الجوهرية في يد دنيس روس، وهومنسق عملية السلام. فهل هو الذي يصنع القرار؟ نعم ـ إلى درجة معينة ـ يصنع القرار.

إن فهم حكومة بيريز لسوريا هو ـ تقريباً ـ فهم الولايات المتحدة. وقد كان بيريز جاداً مع سوريا، ربما أكثر من رابين نفسه. لكن الأخير كان يفضل ـ قبل اغتياله ـ تأجيل المفاوضات مع سوريا إلى ما بعد الانتخابات، وكان بيريز مشغولاً بالمسار الفلسطيني. وأدرك السوريون ذلك؛ ووقع بين الطرفين نوع من الجمود. وعندما تولى بيريز الحكم كان خلاقاً في هذا الموضوع بصورة واضحة. لكنه كان متعجلاً للإنجاز (بسرعة ألف ميل في الساعة). ثم اكتشف ـ بعد ثلاث جولات من المفاوضات ـ أن الأمر ليس سهلاً كما كان يتصور.

كان تفكير حكومة بيريز يقوم على أن سوريا هي المفتاح، فسوريا هي التي ستعطيهم باقي العالم العربي وبالذات الخليج، وإسرائيل هي التي تعطي أمريكا لسوريا. تلك هي الخلاصة في التفكير الإسرائيلي. والليكود يسعى لنفس الهدف، ولكن ليس بعمل سلام مع سوريا، لأن ثمن السلام مع سوريا هو الانسحاب. وما زال الليكود ونتنياهو

يعيشون بأسلوب السبعينيات والثمانينيات حتى الآن. ويظنون أن سوريا مستعدة للتفاهم حول خطوط حمراء وخضراء، وقد يبدو هذا التفسير غير واقعي، ولكن هذا هو تفكير الليكود.

كان بيريز ينوي - فيما لو فاز في الانتخابات - أن يركز على المسار السوري - الإسرائيلي لعملية السلام، لأن المسار الفلسطيني يحتاج منه 4 - 5 سنوات. وأعتقد أنه كان سيجرب المسار السوري بعد الانتخابات بحوالي 5 - 6 أشهر. فإذا لم يجد مجالاً للاختراق، فسيهمل المسار السوري، ويركز على المسار الفلسطيني؛ لأنه يظل حتى النهاية هو الأساس رغم أهمية المسار السوري. لكن الأمر الواقع أن المسار الذي تم بشأنه اتفاق هو المسار الفلسطيني.

الموضوع الثاني: إسرائيل والخليج

إن إسرائيل لا شك تريد تحقيق بعض المكاسب في الخليج. وقد مر تفكير إسرائيل تجاه الخليج بثلاث مراحل. الأولى منذ الغزو العراقي للكويت حتى نهاية حرب الخليج. إذ اعتقدت القيادة الإسرائيلية أن دول الخليج ستسارع إلى إقامة علاقات معها كرد فعل للجميل، أو للمعروف الذي قدمته إسرائيل لدول الخليج، حين أحجمت عن الاشتراك في الحرب، وعن الرد على الصواريخ التي كانت يطلقها العراق على أراضيها. في هذه المرحلة تفاءل الإسرائيليون كثيراً بإقامة علاقات مع

دول الخليج، على الأقل الكويت والسعودية. لكن هذه المرحلة مرت دون أن تفتح دول الخليج علاقات مع إسرائيل، مما خفف من تفاؤل الإسرائيليين.

ثم كانت المرحلة الثانية هي مرحلة التفاؤل الواقعي في أن يكون لدول الخليج حساباتها الخاصة، التي قد تختلف عن حسابات النزاع العربي ـ الإسرائيلي. وهذا يعني في تصوري ـ وأعتقد أنني مصيب فيه ـ أن الأوضاع الداخلية لدول الخليج هي العامل الحاسم في التأثير على صانع القرار تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي. ويدرك الإسرائيليون أن العوامل الداخلية في هذه الدول لا تسمح لها بأن تطبع علاقاتها مع إسرائيل، أو تقيم علاقات معها.

المرحلة الثالثة جاءت بعد أوسلو؛ حين حدث نوع من التحرك بين دول الخليج وإسرائيل؛ مثلاً عُمان وقطر، وهناك تقارير تشير إلى اليمن. وقد تم لقاء بين بيريز ووزير الخارجية اليمني، تبعه لقاء آخر. إذن صار هناك نوع من التحرك، وليس مجرد اختراق. إن إسرائيل تعتبر مجرد مصافحة دبلوماسي من الخليج إنجازاً. وفي مؤتمر صانعي السلام، صاروا يتكلمون عن معسكر السلام والمعسكر المعادي للسلام. إن كل من اشترك في مؤتمر صانعي السلام يريد السلام ويريد التطبيع مع إسرائيل. فما هي باختصار فلسفة حزب العمل

تجاه الخليج؟ وما هي الاستراتيجية التي ينتهجونها ـ وسيواصلون انتهاجها ـ لإحداث اختراقات في دول الخليج؟

إن النهج الإسرائيلي الذي يوضحه كتاب بيريز، ونظريته التي تحمل اسم «الوظيفية Functionalism»، يبدأ بالتعاون الاقتصادي، ثم الثقافي، ليكون أساساً لبناء سلام كامل وشامل. والنموذج المفضل في هذا الإطار هو نموذج الدول الأوربية؛ وبالتحديد السوق الأوربية المشتركة. فالاتحاد الأوربي بدأ كاتحاد اقتصادي، ثم تحول إلى الوحدة السياسية، وإن لم تكن هذه الوحدة ـ كما تعلمون ـ وحدة حقيقية، فما زال التركيز منصباً على المشاريع الاقتصادية. وهناك أشياء يملكها الإسرائيليون ـ كما يقولون ـ ويمكن أن تستفيد منها دول الخليج، مثلاً المعدات الزراعية ومعدات الري وكثير من النظم ذات الصلة بالزراعة والنفط. فهم يبيعونها إلى أوربا وأمريكا ودول أخرى، ثم تشتريها دول الخليج من هذه الدول، فلماذا لا تشتريها مباشرة من إسرائيل وبذا تكون أرخص تجارياً؟ وهذا جزء من الاستراتيجية.

الجزء الثاني عدم التعرض قطعياً للأوضاع الداخلية في الخليج. ومن النادر جداً أن يقوم أحد الساسة الإسرائيليين بالتعليق على الأمور الداخلية في الخليج. فقد استفادوا من الأمريكيين ومن التجربة ومن أخطاء الدول العربية الأخرى، وتعلموا أن من يتدخل في الشؤون

الداخلية للدول العربية يخرج من تدخله خاسرا. وهم يقدرون حساسية دول الخليج لهذا الأمر بالذات. ولذا فهم لا يتحدثون عن هذه الأمور، تاركين لدول الخليج شؤونها الداخلية.

الجزء الثالث يتعلق بإيران. فإيران بالنسبة لإسرائيل - كما هي بالنسبة لأمريكا - مشكلة دولية. أما العراق - بالنسبة لإسرائيل - فهو مشكلة إقليمية فحسب، لأنه لا يُصدِّر الإرهاب ولا يبتاع أسلحة متطورة بسبب الحظر المفروض عليه. لكن إيران مشكلة دولية لكل من إسرائيل وأمريكا، لأنها تموّل الإرهاب وتحاول زعزعة الاستقرار في الدول المجاورة لها. وهي تحاول الحصول على أسلحة هجومية ونظم تسليح حديثة، وبالذات الصواريخ بعيدة المدى. لقد سمعت بيلين - المسؤول عن الأسلحة - يقول ذات مرة إن إيران تشتري أسلحة مداها 3000 - 3500 كيلو متر، وبالقطع ليس هذا للدفاع ضد العراق، وإنما هي - حسب الاعتقاد الإسرائيلي الراسخ - موجهة إلى إسرائيل.

ونستعرض الآن مسألة الجزر الإماراتية. لقد حاولت أن أفهم موقف حكومة بيريز من الجزر التي احتلتها إيران. إن موقف إسرائيل من هذا الموضوع أن إيران تمثل عدواً وخطراً استراتيجياً. وهم يؤيدون موقف دولة الإمارات، ولا يستطيعون - كما قالوا - التصريح بذلك علناً، لأن في ذلك إحراجاً لدولة الإمارات، كما أنه يؤثر على مستقبل علاقات إسرائيل

مع إيران إذا حدث أن تغيرت الحكومة الإيرانية، ومن ثم تغيرت توجهات السياسة الإيرانية. وهذا أمر وارد من وجهة نظرهم.

في الماضي كانت النظرية السائدة أن عدو عدوي صديقي، وقد تغير هذا الآن. حتى في أمريكا تغير هذا المفهوم. ومع أن إسرائيل كان لها نفوذ كبير جداً داخل المؤسسة العسكرية والمخابرات الإيرانية في عهد الشاه، فإن هذا الاعتقاد لم يعد سائداً الآن في إسرائيل. إذ أصبحت إيران الآن عدو إسرائيل الاستراتيجي؛ فهي ترعى الحركات الإسلامية؛ وتموّل الإرهاب، وتعارض عملية السلام. تلك هي فكرتهم عن إيران.

أما العراق فليس مدرجاً في حساباتهم. ولقد سألتهم عن تصورهم في إقامة علاقات مع العراق، فكانت إجابتهم «لا». وطالما بقي صدام حسين في السلطة فهم ليسوا على ا ستعداد لإقامة علاقات مع العراق. جدير بالذكر أن صدام حسين حاول الاتصال بهم منذ عامين، وأرسل إليهم أكثر من رسول، ودار حوار حول هذا الأمر داخل المؤسسة السياسية والعسكرية الإسرائيلية. وبالنسبة لهم كانت غنيمة إذا كسبوا العراق، لكنهم رفضوا لسببين. الأول؛ عدم إغضاب أمريكا لأن المعارضة الأمريكية لصدام غير قابلة للمهادنة. الثاني؛ سوريا، فإذا حدث اتفاق بين العراق وإسرائيل، فإن سوريا ستنسحب من عملية السلام. والأمر الثابت لديهم أنه طالما بقي صدام حسين فلا يوجد تعامل مع العراق، ولكن في المستقبل إذا تغير النظام فيمكن تغيير الموقف.

الليكود يختلف موقفه عن ذلك. فهناك أجنحة مختلفة داخل الليكود. إذ يميل نتنياهو إلى الاعتقاد بأن صدام حسين يائس بسبب الحصار والقيود المفروضة على العراق، وبسبب يأسه فهو على استعداد لعمل أي شيء، بما في ذلك سلام مع إسرائيل. وفي مرحلة معينة كان هذا الجناح داخل الليكود مستعداً للعب لعبة العراق، لأن الليكود ليس له مصلحة في السلام مع سوريا. والمعروف أن الليكود يرتكز أساساً على مجلس الشيوخ الأمريكي. ولا يوجد رئيس أمريكي يمكنه رفع القيود عن العراق إلا بموافقة مجلس الشيوخ.

إن هدف إسرائيل الأول هو الفرص الاقتصادية. وهم راضون كثيراً بنتائج ما حدث مع بعض دول الخليج - عُمان وقطر - ولديهم بعض التفاؤل تجاه اليمن. وكلما ازداد اعتماد دولة خليجية على أمريكا؛ ازدادت فرص تطبيع العلاقات بين هذه الدولة وبين إسرائيل. أما من ناحية الأمن - كما فهمت منهم - فهم ليس لديهم طموح للقيام بدور أمني في الخليج، إلا إذا اقتضت مصالحهم ذلك. وأعتقد أن هذا التوجه مصدره الأساسي الدور الأمريكي في الخليج.

أول هذه الأسباب أن الحكومة الإسرائيلية كانت متخوفة من العلاقة الأمنية الحميمة، التي توطدت بين دول الخليج والولايات المتحدة، وكانت إسرائيل شديدة الانزعاج؛ لأن ذلك سيكون على حساب أمن إسرائيل

ودورها. وظهرت في ذلك الحين «نظرية تهميش إسرائيل»، وتطورت الأمور بعد ذلك. ولو استمر بوش لظهر نوع من الهوة بين إسرائيل والولايات المتحدة لهذا السبب، لكن إدارة كلنتون طمأنت إسرائيل بأن هذا لن يحدث.

ومنذ مجيء إدارة كلنتون، لم يحدث أي سوء تفاهم بينها وبين إسرائيل. حتى ريجان ـ اليميني إلى أقصى حد ـ ظهر خلاف بينه وبين إسرائيل، في المرحلة الثانية من حرب لبنان، ثم في موضوع فتح الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية. أما في عهد كلنتون فلم يحدث أي خلاف مع إسرائيل، وهي شديدة الاطمئنان الآن للإدارة الأمريكية، ولعلاقة أمريكا مع الخليج. وهم يقولون إذا أرادت الولايات المتحدة (في عهد كلنتون) لعب دور حاسم في أمن الخليج، فلا مانع لدينا ولا طموح لنا من الناحية الأمنية. وهذه الأخيرة مكلفة لهم، والرأي العام لا يتحملها. أما الاقتصاد فهو مسألة استراتيجية، ويريدون تنفيذها تدريجياً.

● **مستقبل السلام في المنطقة**

إذا فاز بيريز فسيقطع الشوط بكامله في التفاوض مع الفلسطينيين. والعوائق المحتملة ستكون قضية الحدود وقضية القدس. أما المستوطنات فهناك مجال لنوع من الحلول الخلاقة. المشكلة الرئيسية لإسرائيل هي حماس والجهاد، إذ يسببان مشكلة مزعجة لإسرائيل،

ويظهران - أمام العالم - أن أكبر قوة عسكرية ضاربة في الشرق الأوسط، عاجزة عن توفير الأمن الشخصي لمواطنيها. وحماس لا تهدد إسرائيل استراتيجياً، لكنها تزعزع ثقة المواطن الإسرائيلي العادي بحكومته، حين تعجز عن توفير الحماية له. وهذا خطر من الصعب احتواؤه ومكافحته.

أما بالنسبة للمسار السوري - الإسرائيلي فهو يحتاج إلى ا ختراق، وهذا يتطلب تدخل الرئيس الأمريكي بثقله كما قلت. الأمر الثاني الذي لم يتح لي عرضه في المسار السوري هو قضية إجرائية أيضاً، وهي مسألة التدخلات الخارجية، التي هي أيضاً قضية إجرائية. مثلاً كانت تسير المفاوضات بنجاح في فيرجينيا، ووقعت عمليات «حماس»، فطلب بيريز رسمياً من حافظ الأسد أن يدين عمليات «حماس»، وهذه قضية إجرائية. لكن الرئيس الأسد رفض إدانة حماس، ثم رفض أيضاً حضور مؤتمر قمة صانعي السلام.

مجمل القول أن الطرفين كانا يتسابقان للسيطرة على أحداث لا سيطرة لهم عليها، لأنها بفعل عوامل خارجية، وإن كان لدى بيريز إمكانية إيقاف أحد العوامل الخارجية. والمعروف أن عمليات «حماس» جاءت نتيجة لاغتيال يحيى عياش. وكان هناك تفاهم بين السلطة الوطنية الفلسطينية وحماس، بألا تتعرض «حماس» للمواطنين المدنيين

داخل إسرائيل. وهذه نقطة الخلاف الجوهرية بين الرئيس عرفات وحماس، التي لا تريد الالتزام بعدم القيام بعمليات ضد إسرائيل ضمن الخط الأخضر (حدود ما قبل عام 1967). وقد تم هذا الاتفاق في تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر 1995، فلما قام الإسرائيليون باغتيال يحيى عياش وفتحي الشقاقي، عندئذ لم تسكت حماس.

بالنسبة للخليج سيكون التوجه الإسرائيلي توجهاً بطيئاً وتدريجياً. وقد صنّفت إسرائيل دول الخليج في هذا المجال؛ فهناك أمل كبير وتطورات مشجعة من جهة قطر وعُمان وربما البحرين، أما الإمارات والكويت فستكون صعبة، وستكون السعودية صعبة جداً إن لم تكن مستحيلة - بسبب التيار الإسلامي - لكنها غير مستبعدة تماماً. ومن قراءتهم لدول الخليج وفهمهم للأمريكيين، ولكل الأطراف الذين يتعاملون معهم، عرف الإسرائيليون بعض الأشياء. أولاً: أن دول الخليج - كل دول الخليج - تريد أن يكون لها دور في اتخاذ قراراتها المصيرية، وهذا يتطلب مساعدة الولايات المتحدة. لكن هذه المساعدة لن تُتاح إلا إذا كانت هناك قناة إسرائيلية. وهم يرجعون سبب فتح قنوات مع قطر إلى الصراع الداخلي فيها، بشأن اتخاذ قراراتها المصيرية بنفسها، ونفس الأمر ينطبق على عُمان والدول الأخرى.

ثانياً: ينظر الإسرائيليون إلى مجتمعات الخليج من منظور صراع الأجيال، إذ يعتقدون أن الجيل الجديد في الخليج - بسبب احتكاكه

بالغرب ـ لديه استعداد أكبر للانفتاح على إسرائيل، بينما الجيل القديم من الأربعينيات والخمسينيات والستينيات، ليس لديه هذا الاستعداد، فقد عايش تيارات القومية العربية، وقضايا الصراع العربي ـ الإسرائيلي، ودعم القضية الفلسطينية، وما شابه ذلك.

ثالثاً: يركّز الإسرائيليون على ضعف النفوذ الفلسطيني في منطقة الخليج. هذه العوامل الثلاثة تعطي للإسرائيليين أملاً في انفتاح دول الخليج عليهم، وإن كان هذا الانفتاح المنتظر لن يحدث بدرجة واحدة ولا بسرعة واحدة.

نبذة عن المحاضر

د. محمد مصلح

* يعمل د. محمد مصلح أستاذاً مشاركاً للعلوم السياسية ودراسات الشرق الأوسط، ومديراً لبرنامج العلاقات الدولية في كلية سي.دبليو. بوست بجامعة لونج آيلاند بولاية نيويورك. وقد سبق له أن قام بالتدريس في جامعتي كولومبيا ونيويورك.

* عمل باحثاً زائراً في معهد الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا من 1985 إلى 1988، ومستشاراً سياسياً للبعثة الدائمة لدولة الإمارات العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة من 1985 إلى 1988.

* نال د. مصلح درجة الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت، والدكتوراه من جامعة كولومبيا. وقد ألف عدداً من الكتب منها «نشأة الهوية الوطنية الفلسطينية»، و«نحو التعايش ـ البرامج السياسية للمجلس الوطني الفلسطيني»، و«التيارات السياسية في العالم العربي» (بالاشتراك مع أغسطس رتشارد نورتون)، و«تاريخ الصراع السوري ـ الإسرائيلي، 1948 ـ 1996» (على وشك الصدور). كما كتب مقالات في دورية الشرق الأوسط، ومجلة الدراسات الفلسطينية، والتاريخ المعاصر، والسياسة الخارجية Foreign Policy.

* وقد شارك د. مصلح في عدد من المؤتمرات الدولية، وهو عضو في الندوة الجامعية حول الشرق الأوسط، وجمعية دراسات الشرق الأوسط، وجمعية الشرق الأوسط، وجمعية العلوم السياسية الأمريكية، والبحث عن أرضية مشتركة.

صدر عن «سلسلة محاضرات الإمارات»

1 ـ بريطانيا والشرق الأوسط: نحو القرن الحادي والعشرين

مالكولم ريفكند

2 ـ حركات الإسلام السياسي والمستقبل

د. رضوان السيد

3 ـ اتفاقية الجات وآثارها على دول الخليج العربية

محمد سليم

4 ـ إدارة الأزمات

د. محمد رشاد الحملاوي

5 ـ السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي

لينكولن بلومفيلد

6 ـ المشكلة السكانية والسلم الدولي

د. عدنان السيد حسين

7 ـ مسيرة السلام وطموحات إسرائيل في الخليج

د. محمد مصلح





مـركـز الإمـارات للدراسات والبـحـوث الاسـتـراتـيـجـيـة
The Emirates Center for Strategic Studies and Research

ص.ب: ٤٥٦٧، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة
تلفون: ٧٦٤٦٦٦ـ ٩٧١٢، فاكس: ٧٧٣٥٣٣ـ ٩٧١٢ E-mail: root@ecssr.edu